خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ

🗐ثم قال تعالى حاكما بين الفرق الكتابية:

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (62).

✉قال ابن عاشور: في توسط هذه الآية بين آيات ذِكر بني إسرائيل بما أنعم الله عليهم وبما قابلوا به تلك النعم من الكفران وقلة الاكتراث، مناسبة بليغة؛ إذ بيَّن لهم في هذه الآية أنَّ باب الله مفتوح لهم، وأن اللجأ إليه أمر هيِّن عليهم، وذلك بأن يؤمنوا ويعملوا الصالحات، بعدما تقدم من حكاية سوء مقابلتهم لنعم الله تعالى، وما أصابهم من ضرْب الذلة والمسكنة ورجوعهم بغضب من الله تعالى عليهم، وما في هذا من إفزاع لهم

أي: إنَّ الله تعالى لَمَّا ذكَر قبائح بني إسرائيل وذمَّهم، بيَّن طائفةً لم يَلحقْها هذا الذمُّ، ولَمَّا كان ذِكرُ بني إسرائيل خاصَّةً يُوهِم اختصاصهم بهذا الفضل، ذكَر سبحانه حُكمًا عامًّا يشمل عددًا من أتباع الشَّرائع الأخرى.

⇦أسباب نزول الآية هذه الآية قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة:62]، أخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قال سلمان: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ} [البقرة:62].

🗐سلمان رضي الله عنه بدأ رحلة طويلة، كان أصلاً في أصبهان في إيران، ثم انتقل من أصبهان إلى راهب في عمورية في أرض الروم، ثم إلى بلاد الشام، ثم إلى وادي القرى إلى أن وصل إلى المدينة، وكان آخر راهب قال له: لا أعلم أحداً على الدين الحق، لكن قد أظل زمان نبي يخرج، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة. فسلمان، كان في المدينة يعمل عند يهودي، فقال له يهودي آخر: قاتل الله بني قيلة يعني: الأوس والخزرج اجتمعوا على رجل في قباء جاء من مكة يزعم أنه نبي، يعني أن اليهودي يسخر منه، فاليهود عندهم عقدة التفوق، قال الله عنهم: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [المائدة:18]، فهم لا يتصورون نبوة في غير بني إسرائيل، فاليهودي عندما قال هذا الكلام، يقول سلمان: فأخذتني عروراء، يعني: رجفة، قلت له: ماذا قلت؟ قال: فرفع سيدي اليهودي يده فلطمني لطمة منكرة، قال: ما شأنك تدخل في كلام الكبار، فقلت: لا شيء، وإنما سمعت فأحببت أن أستثبته عما قال، قال: ورجعت إلى عملي، فلما أمسى أخذ رضي الله عنه صحناً من تمر حتى ذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في مكانه، وأصحابه من حوله، فقال له: (بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب فقراء، فهذه صدقة، فكف صلى الله عليه وسلم يده، وقال لأصحابه كلوا، قال: سلمان هذه والله واحدة. فجاء في اليوم الثاني بطبق ثانٍ، وقال له: هذه هدية فسمى الله وقال لأصحابه: كلوا وأكل معهم، قال سلمان: وهذه والله ثانية، بقيت الثالثة، فبدأ يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى كانوا في جنازة في بقيع الغرقد، والرسول صلى الله عليه وسلم جالس وهم يحفرون، وبدأ سلمان يدور من حوله وهو صلى الله عليه وسلم أذكى الناس، وأصفاهم قريحة، وأجودهم عقلاً عرف بأن سلمان

يفتش عن شيء، فألقى رداءه صلى الله عليه وسلم، فوجد سلمان بين كتفيه خاتم النبوة كبيضة حمامة عليها شعرات، فأكب يقبل ظهر رسول صلى الله عليه وسلم ويبكي، ف قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «تحول، ما شأنك»؟ فحكى له ما كان، وأسلم، وشهد شهادة الحق) فصار من ذلك اليوم سلمان ابن الإسلام رضوان الله عليه، نسأل الله أن يجمعنا به في الجنة. هذا الرجل المبارك يسأل النبي صلى الله عليه وسلم، عن أولئك القوم الطيبين الذين كانوا يعبدون الله على دين المسيح ما شأنهم؟ فأنزل الله هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ} [البقرة:62]، يعني: الآية تتكلم عن ناس كانوا على دين الحق قبل مجيء الإسلام، لكن بعد بعثة محمد صل الله عليه وسلم ، لا يقبل دين إلا الإسلام ،إن الدين عند الله الإسلام .

قال ابن القيم: **فتناولت هذه الآية من كان من أهل هذه الملل الأربع متمسكاً بها قبل النسخ بغير تبديل.**

وقال السعدي: **والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف من حيث هم ، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد ، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد ع ، وأن هذا مضمون أحوالهم .**

وهذا الحكم على أهل الكتاب خاصة كما قال السعدي:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) أي آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

⇦فذكر أهل الإيمان أول من ذكر، وحمل ذلك على المؤمنين من هذه الأمة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) من هذه الأمة اعتقدوا، وأقروا، وأذعنت قلوبهم وانقادت بما يجب الإيقان والإذعان والإقرار به من الإيمان بالله -تبارك وتعالى-وما يتبع ذلك من قضايا الإيمان.

(وَالَّذِينَ هَادُوا) وهم اليهود، سموا بذلك، ⇦قيل : من التوبة كقول موسى (إنا هدنا إليك) أي تبنا إليك، ⇦وقيل : نسبة إلى يهود أكبر أولاد يعقوب ، ⇦وقيل : لأنهم يتهودون ، أي يتحركون عند القراءة.

☜واليهود هم أتباعُ موسى عليه السَّلام قَبل نَسْخ دِينهم، وقبل تحريفِه.موسوعة التفسير

(وَالنَّصَارَى) هم أتباع عيسى ، سموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم ، وقيل : سموا بذلك لأنهم نزلوا أرضاً يقال لها ناصرة .

☜والنصارى أتباعُ عيسى عليه السَّلام قَبل نسْخ دِينهم، وقبل تحريفه. موسوعة التفسير

(والصابئين) اختلف العلماء فيهم، فقيل: هم قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، وهذا قول مجاهد، وقيل: هم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور.

⇦وأمَّا الصابئون فهم فِرق؛ منها: الصَّابئة الحُنفاء، الذين بَقُوا على فِطرتهم بتوحيد الله عزَّ وجلَّ، وتحريم الظُّلم والفواحِش، وغير ذلك، من غير تقيُّد بمِلَّة ولا نِحلة، ودون أن يُحدِثوا كُفرًا. موسوعة التفسير الدرر السنية

وقال الشيخ السعدي: إن الصابئين من جملة فرق النصارى. (السعدي)

(مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) الإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده والإيمان بربوبيته والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته .

(وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، فيشمل ما يكون في القبر من سؤال الملكين، وعذاب القبر ونعيمه، والبعث ، والحشر ، والصراط ، والجزاء ، والجنة والنار ، سمي بذلك لأنه لا يوم بعده .

سؤال مهم : ما حكم من أنكر عذاب القبر؟

☜من أنكر عذاب القبر، فقد كفر باليوم الآخر، ومن كفر باليوم الآخر فقد كفر بالله؛ لأن الإيمان بالله لا يقوم إلاّ على الأركان الستة: الإيمان بالله وملائكته وكُتُبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه.

⇦أن عذاب القبر ثابت بالشرع، قال الله تعالى في آل فرعون: { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)غافر ، وقوله صلى الله عليه وسلم: "فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع"، ثم أقبل بوجهه فقال: "تعوذوا بالله من عذاب النار"، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: "تعوذوا بالله من عذاب القبر" قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر".

☜من أنكر ركنا من أركان الإيمان أومن أركان الإسلام، ومن أنكر حكما من أحكام الإسلام معلوما من الدين بالضرورة، كتحريم الربا، أو الخمر، أو الزنى، فإنه يكون مرتدا.ابن باز رحمه الله.

وكثيراً ما يقرن الله عز وجل بين الإيمان به وبين الإيمان باليوم الآخر .

وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر من أعظم الحوافز التي تدفع الإنسان للعمل الصالح، فهي ❶حافز للمحسن ❷ومواساة للمظلوم ❸وأكبر رادع للظالم والعاصي من التمادي في الباطل .

وقد روي عن عمر أنه قال (لولا الإيمان باليوم الآخر لرأيت من الناس غير ما ترى) .

(وَعَمِلَ صَالِحاً) العمل الصالح ما اجتمع فيه شرطان : الإخلاص لله ، المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم .

ودائماً يقرن الله العمل بالصالح ، لأنه ليس كل عمل يقبل إلا إذا كان صالحاً .

قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ...) .

وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً) .

وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً) .

(مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا)

🗐وعدهم الله بثلاث عطايا : ❶الثواب ، ❷والامن من الخوف ، ❸والسعادة والفرح .

(فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أي : ثوابهم عند ربهم .

⇦وفي تسمية ثوابهم أجراً تأكيد لتكفله –عز وجل– لهم بذلك ، وفي كونه عند ربهم تعظيم له ، لأنه الكريم الجواد .

(وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) أي : فيما يستقبلونه من أمر الآخرة .

(وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) أي : على ما فاتهم من أمور الدنيا .

🗐هذه الآية هي قطعاً في الأمم التي كانت قبل مبعث النبي، فإن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب ، فمن تبع الأنبياء وقبل دعوتهم واستجاب لهم فإن الله وعده بالرحمة والجنة، وأما بعد مبعث النبي ε فإن الله لا يقبل من أحد سوى الإسلام.

🖂لأن جميع الانبياء دعوا الى توحيد الله، وترك الشرك، التوحيد يجمعهم وإن أختلفت شرائعهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأنْبياءُ أوْلادُ عَلَّاتٍ؛ أُمَّهاتُهُمْ شَتَّى، ودِينُهُمْ واحِدٌ) صحيح الجامع

🖂وأما بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله لا يقبل من أحد سوى الإسلام.

كما قال (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ال عمران.

⇦ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ε أَنَّهُ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ". رواه مسلم.) رواه مسلم .

🖂فقد جاءت الآيات القرآنية في كفر اليهود والنصارى ، وكونهم مشركين لا يقبل الله منهم إيماناً ولا عملاً.

وقال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) 72المائدة.

وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ)6البينة .

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)

⇦إذن هذه الطوائف الأربع (الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ) هؤلاء من كان منهم على الإيمان والتوحيد مع العمل الصالح والاستقامة على أمر الله - تبارك وتعالى - فهؤلاء ثوابهم وأجرهم لا يضيع عند الله -تبارك وتعالى- ولا خوف عليهم،ولا هم يحزنون.خالد السبت

⇦فهذه الأمة كما أخبر النبي ﷺ أنهم شطر أهل الجنة، نصف أهل الجنة، لكن يوجد في الجنة من اليهود والنصارى والصابئين أهل الفطرة والتوحيد والإيمان، وكذلك من قوم نوح عليه السلام ممن آمن به وهم قلة، وكذلك من آمن بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كالذين آمنوا بصالح عليه السلام وهم قلة، وهكذا.خالد السبت

✉فبعد بعث النبي ﷺ لا يمكن أن يقال: بأن أحدًا من اليهود أو النصارى أو أهل الأديان أيًّا كان من الصابئة أو من غيرهم لم يتبع النبي ﷺ ولم يؤمن، لا يمكن أن يكون من أهل النجاة، وهذا أمر معلوم، وهو بالإجماع، ولا يجوز لأحد أن ينازع، أو يجادل، أو يشكك في هذه الحقيقة الثابتة، لا يمكن أن يُصحَح دين أحد بعد بعث النبي ﷺ ولو كان على الدين الأصل الذي جاء به ذلك النبي من غير تحريف، ولو كان ذلك موحدًا، فإنه لا يصح إيمانه بنبيه حتى يؤمن برسول الله ﷺ ولهذا قال الله تعالى عن قوم نوح، أضاف إليهم تكذيب المرسلين مع أنهم كذبوا بنوح عليه السلام وهو أول رسول إلى أهل الأرض، ولكن من كذب نبيًا كأنما كذب جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام.خالد السبت

✉ويؤخذ من هذه الآية: أن من ثمرات الإيمان بالله واليوم الآخر والأعمال الصالحة حصول الأجر، الثواب عند الله -تبارك وتعالى- وزيادة على ذلك انتفاء الخوف، وانتفاء الحزن، ولذلك إذا ضعف إيمان الإنسان كثرت مخاوفه، وكثرت الأمور المزعجة والمقلقة له، فهو يترقب كل شيء، يترقب المكروه دائمًا، وإذا فاته شيء من هذه الدنيا من فقد محبوب أو فقد مال، أو نحو ذلك فإن نفسه تذهب حسرات على ما فقد، وأهل الإيمان تجدهم في حال من الطمأنينة، هذه الثلاث فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ [سورة البقرة:62] فهذه كما يقول ⇦شيخ الإسلام -رحمه الله : هي موجبة السعادة ، السعادة الكاملة في الدنيا وفي الآخرة؛ لأنه إذا انتفى الخوف وهو القلق من أمر مستقبل وانتفى الحزن الغم بسبب أمر فائت، فإن ذلك يساوي السعادة.

☜ثم عاد تبارك وتعالى يوبخ بني إسرائيل بما فعل سلفهم:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64) .

أي: واذكروا **(إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ)** يقول تعالى مذكراً بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له ، واتباع رسله، وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق، رفع الجبل فوق رؤوسهم .موسوعة التفسير

☝وهو العهد الثقيل المؤكد بالتخويف لهم، برفع الطور فوقهم.

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ)

✉**قال الشوكاني :** والطور : اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ، وأنزل عليه التوراة فيه.

فالطور هو الجبل كما فسره به في الأعراف في قوله تعالى (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . نتقنا : أي رفعنا .

✉ **قال أبو حيان** : سبب رفعه امتناعهم من دخول الأرض المقدّسة ، أو من السجود ، أو من أخذ التوراة والتزامها .

✉**قال ابن الجوزي** : وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل عليهم لإبائهم التوراة .

ومما يذكره بعض المفسرين وبعض أهل العلم ممن يتكلم على تاريخ اليهود وعلى أهل تلك الملة يقولون: إن اليهود إذا سجدوا يسجدون على حاجب واحد، يعني سجودًا مائلاً على أحد الحاجبين ويرفعون الآخر، يقال: إن أصل ذلك هو هذا الموقف أنه لما رفع فوقهم الطور وهددهم الله تعالى بإلقائه عليهم كانوا في غاية الخوف فسجدوا خضعانًا، كانوا قد رفعوا طرفًا إلى الأعلى ينظرون إلى الطور خشية أن يقع عليهم، فصار ذلك هو أصل سجودهم، هكذا قال بعض أهل العلم.خالد السبت

وقيل لهم: **(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ)** من التوراة

(بِقُوَّةٍ) أي : أي بجد وعزيمة كاملة وعدول عن التغافل والتكاسل،والصبر على أوامر الله.

قالَ تَعَالَى: {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} .

قال الشيخ سعيد مصطفى : لا يصلح لحملِ أَمَانَةٍ أَبَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَالْجِبَالُ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا إلا أولوا العزائمِ الماضيةِ، والهممِ العاليةِ، والبصائرِ الثاقبةِ.

لأنها ثقيلة المحمل، عظيمة الخطر، جليلة الخطب.

ولما كانت كذلك كانت هي المجد المؤمل في الدنيا والآخرة، ولتحقيق هذا المجد لابد من جد، ولا بد من صبر.

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله لن يبلغ المجد من لم يلعق الصَّبرا

ولا يتأتى لأحدٍ القيامُ بها إلا بعلمٍ يولدُ التقوى، ويورثُ الخشيةَ، والعلمُ لا يُنَالُ براحةِ الجسدِ.

ومن صبر على لأوائها، وتحمل شدتها، وتدرع بالحزم، وأتزر بالجد، وتحلى بالورع، يوشك أن يجني ثمارَهَا اليانعةَ، ويتفيءَ ظلالَهَا الوارفةَ، ويقيل في روضاتها، في جنات النعيم.

ومما يعين على النشاط في الطاعات، أن يعلم العبدأنه سيأتي يوم يتمنى لو عمل

قال تعالى (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) المؤمنون (100)

ونقتدي بالنبي ε وندعوا الله أن ينشطنا على العبادة ونعوذ بالله من العجز والكسل كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ...) متفق عليه.

وهذا كان حال الأصفياء يبذلوا قصار جهدهم في الطاعات

وقال تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)

✉وإذا استمر الإنسان بالكسل والتخلف والتباطئ قد يعاقب بعدم التوفيق للطاعة مرة أخرى.

قال تعالى (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) (46) التوبة

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّراً فَقَالَ لَهُمْ: تَقَدَّمُوا فَائْتَمُّوا بِي وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ) مسلم

تنبيهٌ إلى أنَّ المداومةَ على البُعدِ عن الطَّاعاتِ تؤدِّي إلى البُعدِ عن اللهِ، واجتلابِ غضَبِه.

قال الشيخ ابن عثيمين: وعلى هذا فيخشى على الإنسان إذا عود نفسه التأخر في العبادة أن يبتلى بأن يؤخره الله عز وجل في جميع مواطن الخير .

قال تعالى (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (110) الأنعام

قال تعالى (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [الزمر 55-59]

تحذير من الله عز وجل لكل غافل متمادي في الغفلة، أفق قبل أن تتحسر وتندم ولات حين مندم، ساعتها لن تنتفع بسخريتك ولا ضحكاتك التي ضحكت و أضحكت بها في الدنيا متلهياً عن طريق الله و أمره، و ساعتها لن ينفعك التمنى فلا عمل هناك و إنما هو الحساب و الجزاء، فلن ترد إلى الدنيا لتعمل و لن تعطى فرصة أخرى بعدما استنفدت رصيدك من الإمهال في حياتك الدنيا.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63)

قال تعالى (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) اقرؤوا ما في التوراة واعملوا به .

قال القرطبي : (واذكروا مَا فِيهِ) أي : تدبّروه واحفظوا أوامره ووعيده ، ولا تنسوه ولا تضيّعوه.

قلت :هذا هو المقصود من الكُتب ، العملُ بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيلها ؛ فإن ذلك نَبْذٌ لها ؛ على ما قاله الشعبي وابن عُيَيْنة .

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (لعل) للتعليل ، أي : لأجل أن تتقوا الهلاك في الدنيا والآخرة ، تجعلوا بينكم وبين عذاب الله وسخطه وقاية ، أو لتكونوا من أهل التقوى.

أخذ الشرائع بقوة وذكر ما فيها يكون سبباً للتقوى.

(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أي من بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم توليتم عنه وانثنيتم ونقضتموه .

فيؤخذ من هذا لؤم بني إسرائيل، بعدما رجع الجبل إلى مكانه واطمأنوا -رفع وزال من فوق رؤوسهم -رجعوا إلى عادتهم وما كانوا عليه من النكث والتولي والإعراض والتمرد: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ). خالد السبت

(فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) أي بتوبته عليكم وإرساله النبيين والمرسلين إليكم .

(لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) بنقضكم ذلك الميثاق في الدنيا والآخرة .

⇦وكان ذلك موجبا لأن يحل بكم أعظم العقوبات، ولكن (فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) لم يكن ذلك.

فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (64)

والعبد لا يستقل بالتوفيق والهداية والتوبة، وإنما يحتاج إلى ألطاف الله، فالله - تبارك وتعالى - هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويوفق من شاء، والعبد المؤمن لا يتوكل على ما عنده قدرات وإمكانيات و قوة إرادة وعزيمة قوية وثبات، بل لا يعتقد أنه لا تزعزعه العواصف والفتن والشرور، لاسيما في مثل هذه الأوقات التي كثرت فيها وقربت فتن الشبهات والشهوات على حد سواء، بل يعتمد بقلبه على رحمة الله ولطفه وكرمه بأن يثبته ، ويصرف قلبه على الطاعة ، ويتذلل لله ويدعوه ويقول ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.خالد السبت

ويؤخذ من هذه الآية تلك الحال التي وصل إليها هؤلاء اليهود من العتو والتمرد، فما يحصل منهم الإذعان والإقرار والله هو الذي يأمرهم والكليم بين أظهرهم إلا برفع جبل الطور، جبل الطور جبل هائل ضخم يرفع فوق رؤوسهم ويقال لهم :(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) فهم لا يأخذونه طواعية وانقيادًا لوعورة نفوسهم وسوء طواياهم ولشدة تمردهم وعتوهم على ربهم - تبارك وتعالى- وعلى رسله -عليهم الصلاة والسلام- فيُرفع فوقهم الطور، فهذه صورة بالغة الوضوح تُبين عن حال هؤلاء اليهود، أنهم أبعد ما يكونون عن القبول والانقياد والإذعان لربهم وخالقهم وإذا كان هذا حالهم حينما يأمرهم الله تعالى ونبيهم كبير أنبياء بني إسرائيل وهو موسى عليه السلام بين أظهرهم ومع ذلك يحتاجون إلى رفع الجبل فوق رؤوسهم من أجل أن يقبلوا فكيف بحالهم بعده، كيف بحالهم بعده؟!خالد السبت

وهنا ينبغي لهذه الأمة أن ترجع إلى نفسها وأن تتعامل مع شرع الله تعالى وهداه بجد وبرغبة أكيدة وبعمل على الوجه المشروع، فإذا أمر الله تعالى بشيء فلا يصح بحال من الأحوال التواني والتباطؤ ابتداءً من هذه الصلاة إذا نادي المنادي فقال: الله أكبر، حي على الفلاح، فالبدار البدار، وهكذا التعامل مع أحكام هذه الشريعة الحلال والحرام وسائر ما أمر الله - تبارك وتعالى- به أو نهى عنه، في القضايا العلمية والقضايا العملية، أخذ ذلك بجد من غير تفريق بحسب ما تهواه الأنفس، فلا يكون حال أهل الإيمان ممن يؤمن ببعض ويكفر ببعض.خالد السبت

الحذر من الكسل والتواني في الأعمال الصالحات وهذا ينقسم إلى قسمين :

❶ : التواني في فعل المأمورات: بأن نتكاسل في فعل الواجبات ونتراخى في فعل المندوبات.

❷: الضعف في ترك المنهيات، بحيث يضعف الإنسان أمام الشهوة الدافعة إلى فعل المعصية.

الواجب على كل عاقل إن يتقي الله -سبحانه و تعالى – التقوى إذا استقرت في القلوب وارتسمت بها الأقوال والأعمال والأحوال أثمرت وأعقبت من الفضائل والفوائد والثمار شيئاً كثيراً به تصلح الدنيا والآخرة دار القرار ، فكل من أراد العز في الدين والدنيا والبركة في الرزق والوقت والعمل فعليه بتقوى الله - تعالى - فإنها من أعظم ما استنزلت به الخيرات واستدفعت المكروهات.

سياق الآيات والكلام هو في التكريم لبني إسرائيل فذكر أموراً كثيرة في مقام التفضيل والتكرّم والتفضّل (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ {49} وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ {50}) و (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ {47})	السياق في ذكر ذنوبهم ومعاصيهم والمقام مقام تقريع وتأنيب لبني إسرائيل (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {138}) والفاء هنا تفيد المباشرة أي بمجرد أن أنجاهم الله تعالى من الغرق أتوا على قوم يعبدون الأصنام فسألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً مثل هؤلاء القوم.
قوم موسى استسقوه فأوحى إليه ربه بضرب الحجر (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ) وفيها تكريم لنبيّ الله موسى واستجابة الله لدعائه. والإيحاء أن الضرب المباشر كان من الله تعالى	فموسى هو الذي استسقى لقومه (إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ)
(كلوا واشربوا) والشرب يحتاج إلى ماء أكثر لذا انفجرت الماء من الحجر في السياق الذي يتطلب الماء الكثير	(كلوا من طيبات ما رزقناكم) لم يذكر الشرب فجاء باللفظ الذي يدل على الماء الأقلّ (انبجست)
جعل الأكل عقب الدخول وهذا من مقام النعمة والتكريم (ادخلوا هذه القرية فكلوا) الفاء تفيد الترتيب والتعقيب.	لم يرد ذكر الأكل بعد دخول القرية مباشرة وإنما أمرهم بالسكن أولاً ثم الأكل (اسكنوا هذه القرية وكلوا)
(رغداً) تذكير بالنعم وهم يستحقون رغد العيش كما يدلّ سياق الآيات.	لم يذكر رغداً لأنهم لا يستحقون رغد العيش مع ذكر معاصيهم
(وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حطة) بُديء به في مقام التكريم وتقديم السجود أمر مناسب للأمر بالصلاة الذي جاء في سياق السورة (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ {43}) والسجود هو من أشرف العبادات.	(وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً) لم يبدأ بالسجود هنا لأن السجود من أقرب ما يكون العبد لربه وهم في السياق هنا مبعدين عن ربهم لمعاصيهم.
(نغفر لكم خطاياكم) الخطايا هم جمع كثرة وإذا غفر الخطايا فقد غفر الخطيئات قطعاً وهذا يتناسب مع مقام التكريم الذي جاء في السورة.	(نغفر لكم خطيئاتكم) وخطيئات جمع قلّة وجاء هنا في مقام التأنيب وهو يتناسب مع مقام التأنيب والذّم في السورة.
(وسنزيد المحسنين) إضافة الواو هنا تدل على الإهتمام والتنويع ولذلك تأتي الواو في موطن التفضّل وذكر النعم	(سنزيد المحسنين) لم ترد الواو هنا لأن المقام ليس فيه تكريم ونعم وتفضّل.
(فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم)	(الذين ظلموا منهم) هم بعض ممن جاء ذكرهم في أول الآيات
(فأنزلنا على الذين ظلموا)	(فأرسلنا) أرسلنا في العقوبة أشدّ من أنزلنا، وقد تردد الإرسال في السورة 30 مرة أما في البقرة فتكرر 17 مرة

(بما كانوا يفسقون)	(بما كانوا يظلمون) والظلم أشدّ لأنه يتعلّق بالغير
(فانفجرت) جاءت هنا في مقام التكريم والتفضّل وهي دلالة على أن الماء بدأ بالإنفجار بالماء الشديد فجاء بحالة الكثرة مع التنعيم	(فانبجست) في مقام التقريع قلّ الماء بمعاصيهم فناسب ذكر حالة قلّة الماء مع تقريعهم.